دراسة أساليب النص القرآني

* الأسلوب القرآني: هو طريقة التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار الفاظه، ولقد تواضع العلماء قديماً وحديثاً على ان للقرآن اسلوباً خاصاً به مغايراً لأساليب الغرب في الكتابة والخطابة والتأليف.

ولقد ابرز علماء العربية ميزات للأسلوب القرآني اختص بها من بين سائر الكلام، فمن هذه الميزات:

ميزات الأسلوب القرآني:

أولاً: المرونة والمطاوعة في التأويل:

* نجد في الأسلوب القرآني مرونة في التأويل ومطاوعة على التقليب، بحيث لا يدانيه أسلوب من الأساليب، وهذه المرونة تجعله واسع الدلالة سعة المورد الذي تزدحم عليه الوفود ثم تصدر عنه وهي ريّانة راضية.

* وهذه المرونة من أسباب خلود القرآن فإن الأساليب العربية عراها كثير من التغير والتلوين اللفظي والذهني، ومع ذلك فإن القرآن بقي خالداً

بأسلوبه المتميز وبخصائصه الفريدة يتجدد مع العصور وظل رائع الأثر على تراامي الأجيال الى هذه الأيام والى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: اعتماد الأسلوب القرآني الطريقة التصويرية في التعبير:

من السمات البارزة للأسلوب القرآني هو اعتماده الطريقة التصويرية للتعبير عن المعاني والأفكار التي يريد ايضاحها وسواء كانت معاني ذهنية مجردة او قصصاً عابرة، او مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات.

ان الأسلوب القرآني يحملنا الى أجواء الصور وكأنه ينظر في تفصيلات الصورة المجسمة امامه، وكأن المشهد يجري امامه حيّاً متحركاً. ولا شك ان الفكرة او المعنى الذي يراد ايضاحه يكون أقرب الى الفهم وأوضح الى الذهن مما لو نُقل المعنى مجرداً من تلك الصور الحية، ويكفي لبيان هذه الميزة ان نتصور هذه المعاني كلها في صورها التجريدية ثم نقارنها بالصورة التي وضعها فيها القرآن الكريم. فمثلاً:

معنى النفور الشديد من دعوة الايمان: إذا أردنا ان نتصور هذا المعنى مجرداً في الذهن يمكن ان نقول: انهم ينفرون اشد النفرة من دعوة

الايمان فيتملّى الذهن وحده معنى النفور في برودة وسكون، ولنمعن النظر في الأسلوب القرآني وهو يصوّر لنا هذا المعنى في هذه الصورة الغريبة

* "فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرّت من قسورة" المدثر: ٤٩-٥١

فتشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال وانفعال السخرية وشعور الجمال: السخرية من هؤلاء الذين يفرون كما تفر حمر الوحش من الأسد لا لشيء الا لأنهم يدعون الى الايمان، والجمال الذي يرتسم في حركة الصورة حينما يتملاها الخيال في إطار من الصورة التي نُقلت اليه وفي تضاعيفها الاستهزاء بالمعرضين.

* لقد شبه الله تعالى فرار الكافرين عن تذكرة النبي -صلى الله عليه وسلم- كفرار حمر الوحش من الأسد لا لشيء الا لأنهم يدعون الى الايمان،

* انظر اخي الى جمالية هذا التشبيه الرائع الذي لا يصدر الا عن اله عالم بخبايا النفس الإنسانية طبعاً هذا التشبيه له عدة مدلولات منها شدة فرارهم من النبي وسخرية من سلوكهم غير المبرر.

ثالثاً: طريقة الأسلوب القرآني المتميزة في المحاجة والاستدلال:

لقد أورد القرآن الكريم من افانين القول في سياق محاجّة الكفار وتصحيح زيغ المحرّفين والوعد لأوليائه والوعيد لأعدائه ما يخرج عن طوق البشر الإحاطة بمثل هذه الأساليب في أوقات متقاربة او متباعدة، فالنفس الإنسانية لا تستطيع التحول في لحظات عابرة في جميع الاتجاهات بل تتأثر بحالة معينة، ولا تستطيع التحول عنها الى اتجاه معاكس الا ضمن بيئة ملائمة.

اما الأسلوب القرآني فيلاحظ فيه الانتقال في شتى الاتجاهات في لحظات متقاربة متتالية، واحياناً تكون مترادفة. فمن (١) مشرّع يقر الدساتير والأنظمة في تؤدة واناة ورؤية، الى (٢) وعيد وتهديد لمن يرغب عن التشريعات ويريه سوء المصير، الى (٣) غافر يقبل توبة العبد اذا تاب واناب الى (٤) معلم يعلم كيفية الالتجاء الى الخالق سبحانه وتعالى بأدعية لا تخطر على البال، الى (٥) مقر لحقائق الكون الكبرى ومن مرئيات الناس ومألوفاتهم والتدرج بهم الى اسرار سنن الله في الكون.